الغرض الاجتماعي في الأشعار العربية النسائية التشادية
الشاعرة ساكنة محمد أحمد زائد نموذجا
دراسة تحليلية نقدية

د. أزرق الخليل السيط(*) د. مولود محمد أبكر(**)

• **مُلخص:**

يقصد بالغرض الاجتماعي الموضوعات التي عالج بها الشعر العربي التشادي النسوي العام العادات والتقاليد مدحا أو ذما، أو حارب بها مظاهر الفساد، أو مدح العادات الحسنة وأثنى على أهلها وحث المجتمع على العمل بها ونتيجة لارتباط الشعر العربي التشادي النسوي بالمجتمع؛ فمن الطبيعي ظهور الأغراض الاجتماعية فيه. والشاعر بوصفه إنسانا رهيف الإحساس، قوي المشاعر، جياش العاطفة، يتأثر بما يدور حوله من أحداث، سواء كان مصدر الأحداث الفقر أو البؤس، أو كان مصدرها الجهل أو المرض، أو الكوارث الطبيعية، أو الاستعمار والاحتلال، أو غيرها من المؤثرات المجتمعية؛ فإن الشاعر بطبعه يتأثر بها ويعبر عنها إيجابا أو سلبا.

والشاعرة التشادية ساكنة محمد أحمد زائد من أرهف الشاعرات التشاديات إحساسا، وشعورا، ولها روح متضامنة مع مجتمعها، كارهة لما يحدث فيه من مآسي وويلات، ثائرة بطبيعتها؛ لذا نجدها تهتم بالقضايا الاجتماعية في ديوانها. وتعد الأوضاع السيئة في المجتمع التشادي المحرك الأساسي للعاطفة الشعرية للشاعرة وتتمثل هذه الأوضاع في التشرد، واليتم، والفقر، والمظاهر السيئة للفتيات، كالسفور والتبرج والانحلال الأخلاقي. وهذا ما جعلها تتعاطف مع كل مأساة أو معاناة اجتماعية، الأمر الذي دفعها إلى قرض أشعار ذات غرض اجتماعي.

ويهدف البحث إلى معرفة أهم الجوانب الاجتماعية التي تأثرت بها الشاعرة وقدراتها في سبك الشعر الذي يتناول الجانب المأساوي. وينقسم البحث إلى مقدمة، وتمهيد، ثم تعريف بالشاعرة، ودراسة خمس قصائد كل منها تعالج موضوعا اجتماعيا كنماذج من القصائد الشعرية في ديوان "ولي أمل"، ثم خاتمة وقائمة بمصادر ومراجع الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الشعر العربي، الشعر الاجتماعي، الشعر النسائي، تشاد، ساكنة زائد

(*) محاضر ومدير الشئون الأكاديمية والدراسات بجامعة الملك فيصل، أنجمينا – تشاد
(**) محاضر ومسئول الماستر بقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أنجمينا– تشاد

The Social Purpose in Chadian Women's Arabic Poetry The Poet Sakina Muhammad Ahmad Zaid as a Model An Analytical Critical Study

Dr. Azarak Alkhalil Assiet(*) **Dr. Maouloud Mahamat Abakar**(**)

- **Abstract**

Social purpose means the topics in which general Chadian feminist Arab poetry dealt with customs and traditions, praising or vilifying, or combated manifestations of corruption, or praised good customs, praised their people, and urged society to work on them, and as a result for linking of the Chadian feminist Arab poetry with society. It is natural for social purposes to appear in it.

The poet, as a human being, is sensitive, strong in feelings, and full of emotion, he is affected by the events going on around him, whether the source of the events is poverty or misery, or the source of the events is ignorance, disease, natural disasters, colonialism and occupation, or other societal influences. The poet is naturally affected by it and expresses it positively or negatively.

The Chadian poet **SAKINA MAHAMAT AHMAT ZAID** is one of the most sensitive and sensitive Chadian poets, and she has a spirit of solidarity with her society, hating the tragedies and woes that happen in it, and rebellious by her nature. Therefore, we find her concerned with social issues in her collections.

The bad conditions in Chadian society are the main driver of the poet's poetic passion, and these conditions are represented by homelessness, orphanhood, poverty, and the bad appearances of girls, such as unveiling, finery, and moral decadence. This made her sympathize with every tragedy or social suffering, which led her to write poems with a social purpose.

The research aims to know the most important social aspects that influenced the poet and her abilities in writing poetry that deals with the tragic aspect. The research is divided into an introduction, a preface, then a presentation of the poet, and a study of five poems, each of which addresses a social topic as examples of the poetic poems in the Poetry collection: "I have a Hope". Then a conclusion sources and references.

Keywords: Arabic Poetry, Social Poetry, Women's Poetry, Chad, Sakina Zaid

(*) Director of Academic Affairs and Studies, King Faisal University, N'Djamena - Chad, E-mail: azarak67@ gmail.com

(**) Master's degree manager and Lecturer at the Department of Arabic Language and Literature, University of N'Djamena, Chad, E-mail: mouloudmahamat @ gmail.com

- **مقدمة:**

الغرض الاجتماعي من الأغراض الأدبية التي تميزت في الشعر العربي العام والآداب المشرقية عن طريق التلاقي بين الأدبين الغربي والمشرقي. وعن طريق الاطلاع والمكتبات، والدراسات النظامية، والاستعدادات الذاتية، والاتصالات الأدبية دخلت الساحة الأدبية التشادية كغيرها من الأغراض التي وجدت اهتماما واسعا في المجتمعات الحديثة.

وبما أن الأنثى كلها مشاعر وأحاسيس ورهافة، إضافة لشاعريتها؛ فمن الطبيعي أن يكون لها دور كبير وفاعل في مجال الأدب الاجتماعي على العموم، والشعري على الخصوص، وهذا ما لاحظناه في نتاج الشاعرة: ساكنة محمد أحمد زائد، التي امتازت أعمالها التي تدور في الغرض الاجتماعي، بدقة المعنى، وجزالة لألفاظ ، ووضوح الأسلوب، وقوة البيان، ودقة التصوير؛ حيث عالجت بشعرها الاجتماعي كثير من مشكلات المجتمع، باحثة عن القيم المثلى والخصال الحميدة التي ينبغي أن تنتشر في وسط المجتمع؛ لأن الأدب يقوم: "على تقويم المفاسد الاجتماعية ، وقد يندد بالمفاسد كالقمار والمسكرات والمخدرات والتهتك الجنسي."([1])

والشعر الاجتماعي النسوي العربي التشادي نجد فيه روح الرفض والثورة على الضيم والظلم كما نلمس فيه روح العطف على الطبقات البائسة داخل المجتمع التشادي، وهذا ما نشاهده عندما نقرا أشعار الشاعرة: ساكنة، التي أعطت اهتماما للغرض الاجتماعي. وهذا راجع إلى صدق وجدانها الاجتماعي وتجربتها الشعرية. كما أنها تستمد موضوعاتها من مجتمعها الذي تعيش فيه باعتبارها احدى أفراده، وأنها تسخر استعداداتها الفطرية لمعالجة الواقع الاجتماعي المرير الذي تعيشه بعض فئات المجتمع التشادي، كاليتامى والارامل والبائسين واللاجئين والمتشردين، والفقر والحاجة والعوز والمرض كما عبرت عن الكآبة والشرور.

1- الرفاعي، أحمد الرفاعي محمود، ظاهرة تطور الشعر الوطني التشادي في الفترة ما بين 1900-2000م، رسالة دكتوراه في الأدب والنقد، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 1432هـ-2011م، ص 179 .

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في تحليل القصائد الاجتماعية في أشعار: ساكنة محمد أحمد زائد ؛ لاستخراج العوامل التي جعلتها تتسم بالاجتماعية، ومعرفة مدى انسجامها مع قضايا المجتمع والتوغل فيها لمعرفة حرارة العاطفة فيها وصدق تجربتها الاجتماعية.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى

- الاطلاع على النتاج الأدبي الحديث وكسب مهارات ثقافية جديدة
- الوقوف على مضمون القصائد الاجتماعية في الشعر العربي النسوي التشادي.
- معرفة الأغراض الاجتماعية التي نظمت الشاعرة ساكنة أشعارها عليها.
- التوصل إلى معرفة قدرات الشاعرة على سبك الشعر الاجتماعي الذي يتناول الجانب المأساوي ومدى تأثيره في المجتمع والتخفيف عن معاناته.

إشكالية البحث:

- مدى تأثير الشعر النسوي التشادي في الجانب الاجتماعي على المجتمع التشادي.
- ظهور شعر عربي نسوي تشادي متأثر بالأوضاع الاجتماعية.

منهج البحث:

يعتمد البحث في المنهج الاجتماعي الذي يقوم على:

- تحليل النص للتعامل مع الظواهر الأدبية على أنها ظواهر اجتماعية
- تحليل النص لمعرفة الصلة التي تربط بين النص والمجتمع الذي نشأ فيه
- ومعرفة مقدرة الشعر النسوي في توظيفه لتحقيق ما يرمي إلية لمعالجة قضاياه.

دوافع البحث:

- دافع ذاتي وهو خدمة الأدب العربي التشادي، وإبراز أهداف البحث وحل مشكلاته وبيان نتائجه
- التوصل إلى معرفة مقاصد النصوص الشعرية النسوية من خلال الاطلاع على أشكاله ومضامينه.

هيكل البحث:

مقدمة، تمهيد، وتعريف الشاعرة: يتمثل في: نشأتها ، وثقافتها، ومراحلها الدراسية، ونتاجها الأدبي، وأخلاقها،و شاعريتها. ثم دراسة نماذج من القصائد التي حاولت الشاعرة أن تعبر بها عن نصرتها للمظلوم ومساندتها للضعيف والدفاع عن البؤساء في المجتمع التشادي، وهي قصائد: معاناة، والشعر يروي ما نرى، والبانة، وسنة أولى شارع، وقصيدة والديك، يليها خاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع.

- **تمهيد:**

يتكون النسيج الاجتماعي من: "مجموعة من الناس الذين يعيشون معا، ويشتركون في واحدة أو أكثر من الأنشطة المشتركة ويرتبطون بعضهم ببعض برباط معين أو عدد من الروابط والعلاقات."([1]) كما يشمل مجموعة معينة من الأفعال والثقافات بين الأشخاص الذين تربط بينهم صلاة متبادلة.

ويبدو من خلال ذلك أن "المجتمع التشادي ينقسم إلى قبائل والقبائل إلى بطون وأحفاد وعشائر، ومظاهر حياتهم تقليدية غالبا، إلا أن هذه البلاد حظيت بتحسن ملموس في كثير من أسباب الحياة، وذلك بعد الاستقلال... والشعب التشادي مثله مثل غيره من الشعوب الإفريقية، ومجتمعه يشبه مجتمعاتها، ودولة تشاد مثلها مثل دول العالم في وجود الفوارق بين طبقات المجتمع." ([2])

وينقسم المجتمع التشادي كغيره من المجتمعات الإفريقية إلى ثلاث طبقات أساسية، وهي؛ الطبقة العليا التي تتمثل في عائلات الرؤساء والوزراء وأرباب الشركات والمصانع وحكام الولايات والمقاطعات؛ فهؤلاء تبدو عليهم ظاهرة الترف والثراء في أمور كثيرة، إلا أن هذا الترف غالبا ما يكون على حساب العامة المحرومة التي تحيى حياة البؤس وعلى شغف العيش. وطبيعي أن تظهر علامات البؤس والشقاء من هذا الجانب، في حين تبدو علامات النعيم والترف من جانب آخر، فكانت هذه الظاهرة تبدو أكثر في حياة التشاديين، والسواد الأعظم يعيش هذه الحياة.([3])

أما الطبقة الوسطى وينتمي إليها معظم أفراد الشعب التشادي وفي مقدمتهم موظفو الدولة. والطبقة الدنيا– في الغالب– هم المزارعون وأصحاب الحرف اليدوية الذين يوفرون أهم الاحتياجات الضرورية التي تحتاجها الطبقتين العليا والوسطى، يوفرون وهم

1– أيوب، محمد صالح أيوب . الاجتماع التربوي في إفريقي ، دار الفضيلة القاهرة 2018م، ص62

2– محمود ، دكتور حسن محمود ، تاريخ الشعر التشادي ، دار الطبعة للطباعة ، ط8 1425هـ 2004م ، مصر ، ص3

3– المصدر السابق ص4

يعيشون الفقر ولا يجدون من وراء عملهم وعنائهم سوى القليل الذي يسد رمق عيشهم، ويتحملون أعباء الحياة وعلى حسابهم يعيش الكسالى عالة عليهم. ([1]) فعاشت الشاعرة وما زالت تعيش في وسط إحدى هذه الطبقات،.

تعريف الشاعرة:

هي ساكنة محمد أحمد زائد، ولدت بمدينة طرابلس بليبيا في السابع والعشرين من يوليو لعام 1992م، ونشأت في كنف أسرتها المتواضعة، وكانت تنتمي إلي قبائل عرب المسيريه الذين يتنقلون من مكان لآخر، كما هو الحال؛ حيث يرحلون من بادية لبادية كما ينتقل البعض منهم من البوادي إلى ضفاف المدن، وأحيانا يستقر البعض منهم في المدن، عندما يرون البقاء فيها أفضل من التجوال، وهذا ما دفع أسرة الشاعرة إلي الاستقرار في المدن، تقول الشاعرة ساكنة: "كان أبي –رحمه الله– من مدينة: آتيا البطحاء، وسافر إلي ليبيا واستقر فيها، والتحقت به الأسرة فوُلِدت بليبيا، بمدينة طرابلس. وكان الوالد يتجول كثيرا في ليبيا، ونتيجة لذلك نشأت في عدة مدن، واستمرت حياة الأسرة في ليبيا إلى أن قامت ثورات الربيع العربي ومن بينها ليبيا، ثم انتقلت الأسرة إلى تشاد لظروف الحرب في ليبيا إبان ثورة فبراير، وعند وصولي إلى العاصمة التشادية أنجمينا شعرت بالسعادة؛ فما كنت أتوقع أن يكون لبلادي بنيانا بهذا الشكل؛ لذلك أعتبر هذه نشأة ثانية في الوطن التشادي." ([2])

ثقافة الشاعرة :

فهي التي صقلت موهبتها الشعرية وحركت مشاعرها وعاطفتها، الأمر الذي جعلها تظهر في الساحة الأدبية وتبحر في البحور الشعرية، وترى أن تأثر والدها بالثقافة الإسلامية بقراءته للتفاسير والأحاديث، لهما دور كبير في تثقيفها؛ حيث تقول: "الوالد يحب التجوال لأجل التغيير لا يريد أن يمكث في مكان واحد لفترة طويلة، ولا يسكن في

1– المصدر نفسه ص 5

2 – مقابلة مع الشاعرة ساكنة محمد أحمد زايد في منزل الأسرة بأم رقيبة بانجمينا 10/20/ 2020م الساعة 12:30 دقيقة أجرى المقابلة الأستاذ مصطفى أحمد مهدي أسد

بيت إلا بجوار مدرسة أو مسجد أو خلوة قرآنية ... حفاظا على قراءة القرآن الكريم وأداء الصلوات في المسجد والمدرسة، وذلك نتيجة لتعلقه بالثقافة الإسلامية، مما شجعني على التعليم والاهتمام به.

وكان للوالد –عليه رحمة الله– كتب منها تفسير الجلالين، ومن الحديث، كتاب رياض الصالحين وغيرهما من الكتب الإسلامية... كان ذلك له أثر في ثقافتي الأدبية وخاصة قرض الشعر؛ بل كان لي إخوة لهم إبداعات في المجالات الأدبية التي تتعلق بالشعر والقصة والرواية، وأخوتي هم: سعيد محمد أحمد زايد كان شاعر وله قصائد شعرية غير مطبوعة، والغالي محمد أحمد زائد.

ورغم هؤلاء الإخوة الذين ذكرتهم كلهم أقل مني سنا؛ فلا شك في أنهم يتأثرون بثقافتي في مجالهم الأدبي، وأنا أتأثر بهم في بعض المجالات؛ فتكون العملية تكاملية في جانب الثقافة الأدبية فيما بيننا، وكان لي إخوة أكبر مني سنا أعتبرهم رافد من روافدي الثقافية في مجال انتاجي الأدبي، لكن الإخوة الذين ذكرتهم لهم أثر واضح في مجال الساحة الأدبية."([1])

حياتها العلمية:

درست الشاعرة المرحلة الابتدائية بمدرسة: سيد زكريا، بمدينة صرمان، بليبيا. حيث نالت الشهادة الابتدائية عام 2000 م. ونالت الشهادة الإعدادية عام 2008م، من مدرسة الطبيعة بدينة بنغازي، والثانوية عام 2012م، من مدرسة الإيمان بمدينة أنجمينا، بعد سنتين دراسيتين قضيتها في مدرسة: طيور الجنة بليبيا، وسنة دراسية ثالثة بمدرسة: الإيمان المذكورة.

وتخرجت في جامعة الملك فيصل بأنجمينا، في كلية اللغة العربية، ثم التحقت بقسم الدراسات العليا بجامعة أنجمينا، كلية اللغات والآداب والفنون والإعلام، قسم اللغة العربية وآدابها، شعبة الآداب، وقد نالت شهادة الماستر في الأدب والنقد، وواصلت دراستها في نفس القسم حتى تخرجت فيه بشهادة المستر2 عام 2024م

1 – مقابلة مع الشاعرة ساكنة محمد أحمد زايد في منزل الأسرة بأم رقيبة بانجمينا 20/10/ 2020م الساعة 12:30 دقيقة أجرى المقابلة الأستاذ مصطفى أحمد مهدي أسد

نتاجها الأدبي:

للشاعرة ساكنة محمد أحمد زائد عدة أعمال فنية أدبية منها:

أ- الشعر: ديوان مطبوع بعنوان: ولي أمل.

ب- الروايات غير المطبوعة؛ ريا. هجوم المغول . أفكار وحوادث ومصائب . شطرنج . الغالي أبكر . الهروب إلى المجهول . اللعنة الخطيرة . الزمن . الإسكاف.

ج- مجموعة من القصص لم تسميها ولم تنشر([1])

أخلاقها:

الشاعرة ساكنة محمد أحمد زائد هادئة طويلة الصمت، ذات حياء وخجل ، عفيفة محترمة متمسكة بمبادئ الشرع الإسلامي في مظهرها ومعاملاتها، ذات عقيدة قوية وإيمان صادق بشوشة لا تحب الظهور، واسعة الأفق، حريصة على أداء الواجب، غيورة علي البائسين عطوفة على المساكين، كريمة على المحتاجين.

أما من حيث أنها شاعرة ينطبق عليها قول ابن رشيق القيرواني عندما تحدث عن الصفات التي يجب أن تتوفر على الشاعر بقوله: " من حكم الشاعر أن يكون حلو الشمائل، حسن الأخلاق، طلق الوجه، بعيد الغور، مأمون الجانب، سهل الناحية، وطيء الأكناف، فإن ذلك ما يحببه للناس، ويزينه في عيونهم، ويقربه من قلوبهم، وليكن مع ذلك شريف النفس، لطيف الحس، عروف الهمة، نظيف البزَّة، أنِفاً؛ لتهابه العامة، ويدخل في جملة الخاصة." ([2])

مميزات شعرها:

يمتاز شعر الشاعرة ساكنة محمد أحمد زائد بقوة السبك، وبعد المعني، وجزالة الألفاظ وحرارة العاطفة، وصدق التجربة، ودقة التصوير، ورقة الشعور، وعمق التأثر،

---

1 – مصطفى، دكتور الحبو تجاني مصطفي، القصة القصيرة في القطر التشادي النشأة والاتجاه، بحث منشور في مجلة الندوة العلمية الدولية للأدب العربي في إفريقيا جنوب الصحراء الماضي والحاضر والمأمول ، جامعة الدول العربية والاتحاد الإفريقي ص341

2- القيرواني، ابو علي الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق الدكتور، قر قزانا، دار المعرفة بيروت لبنان، ط1 1988م، ج1، ص361

وجودة التلاحم، ووضوح الجرس، وجمال الديباجة، وحسن التخلص، فهو بمثابة: "بحر عذب يروي ظمأ من شرب منه دون تميز، إذ أنه يمتاز بفصاحة الكلام وتلاحم بعضه البعض... والمتصفح لديوانها يجد شعرها يمتاز كثيرا عن أشعار غيرها لالتزامها بالقواعد التي وضعت من خلال العمود الشعري الذي منه ما يرجع إلى المعنى الكلي، ومنه ما يرجع إلى معاني الجزالة." ([1])

فهذا هو المجتمع الذي تعيش فيه الشاعرة ساكنة محمد أحمد زائد بجميع قواعده وأسس حياته الاجتماعية فعمدت على إظهار عبقريتها؛ حيث رسمت ابداعاتها الفنية النسوية لمعالجة بعض قضايا المجتمع التشادي المثيرة، المتمثلة في الطبقة البائسة المقهورة؛ ولذلك نجدها تسير مع الحياة الجديدة، وتتلاءم مع تطور العالم المستمر في تطوره كل يوم، وتحاول بثقافتها دفع المجتمع التشادي نحو التقدم والرقي؛ لأنها واحدة من هذا المجتمع الذي تعددت فيه الطبقات والثقافات، الأمر الذي ساعد في توسعة ثقافتها، وقوى مداركها؛ لتمسك بناصية الشعر والولوج في عمقه، والنبوغ في قرضه بطريقة تواكب حياة المجتمع التشادي والدفاع عن بؤسائه من أيتام ومشردين؛ لأنها من أرق النساء شعورا، وأدق احساسا، وارهف سمعا، وانفذ بصرا في كثير من غيرها، فإذا نظمت أو نثرت أو خطبت أو تحدثت فإنما تطلب نصرة للمظلوم ومساندة للضعيف، ورحمة للفقير، وعزة للزليل، وفرجا للمكروب، وبهذا توصل رسائلها.([2])

نماذج من شعرها

القصائد التي حاولت الشاعرة لتعبر بها عن نصرتها للمظلوم ومساندتها للضعيف والدفاع عن البؤساء في المجتمع التشادي منها:

---

1 – من الكلمة التي أعدها أحمداي حمزة بمناسبة يوم توقيع ديوان الشاعرة في يوم 2016/03/23م بأنجمينا . تشاد بتصرف

2– إبراهيم أنيس، الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، دار العلم للملايين بيروت . لبنان 1988م ص22 بتصرف

1- قصيدة معاناة

كتبت الشاعرة ساكنة محمد أحمد زائد هذه القصيدة بعد أن تأثرت بالواقع الاجتماعي الذي تعيشه بعض المجتمعات، وخاصة الفئات الفقيرة التي تعاني مرارة العيش بين الطبقتين العليا والوسطى اللتان يمتلكان معظم المقومات الاقتصادية المهمة التي تدر أموالا طائلة، فيتنعمون بها ويترفهون، بينما هناك الطبقة الفقيرة محرومة من أبسط شيء في الحياة. ومنهم الاطفال الذين فقدوا آباءهم أثناء الحرب القبلية العمياء، والسياسة المهدمة لبنية المجتمع، والأمراض الفتاكة التي يصعب علاجها، فهذه الأسباب وغيرها تعتبر سببا لموت الآباء والأمهات، وكذا الأطفال، وهذه المشاكل البشعة تعد سببا واضحا ليُتم الأطفال الذين لا يجدون من يعولهم ويقوم بتربيتهم، وهذا الواقع المحاط بالويلات والبؤس يجعلهم يعيشون في مكبات الأوساخ والنفايات، ويبحثون عن لقمة عيش لهم في القمامة، وهذه دلالة على أقصى صعوبة في الحياة ، مما يعرض الأطفال في مثل هذه الحالات على الموت بكثرة الجراثيم التي تتواجد في النفايات؛ لذا نجد الشاعرة: ساكنة محمد أحمد زايد، تتأثر بمعاناة الأطفال وبؤسهم في الحياة، فتقول في قصيدة بعنوان من صفحة المأساة ومطلعها:

معاناة على طرف الرصيف	***	تذيب القلب بالجسم النحيف
مغطى بالغبار بلا حذاء	***	من الأوساخ يبحث عن رغيف
مددت يدي تجود بما لديها	***	له من كيس الوهن الخفيف
سألت الطفل من؟ فأجاب فورا	***	أنا يا أختنا في الله ريفي
أبي قد مات مذ حُنُكْتُ طفلا	***	ولم يترك سوى الفقر المخيف
وأمي ما تزال تزور حلمي	***	تطل بوجهها الجزع الأسيف
ولي عم ينام على فراش	***	وثير داخل القصر المنيف
وجسمي أدمن المأساة أختي	***	ويعرف كل أمطار الخريف
له برد الشتاء يجيئ دوما	***	له قد أوقدت شمس المصيف
تناسيت المبيت على فراش	***	نسيت كرامة العيش الشريف([1])

1- زائد، ساكنة محمد أحمد زائد، ديوان ولي أمل ، الطبعة الثانية 1997م ، دار الإمام الشافعي للنشر والتوزيع، ص39.

نجد الشاعرة في هذه القصيدة تصور البؤس والشقاء والفقر والحاجة الذي يعاني منه الكثير من الأطفال الأيتام المتشردين، وتصور الشاعرة طفلا بالطريق، يقف على الرصيف، تظهر عليه علامات الجوع والمعاناة من شظف الحياة، فلا والٍ يهديه، ولا راع يرعاه، ولا بيت يأويه، أنهكت الظروف جسده فأصبح ضعيف نحيف هذيل من شدة الجوع وسوء التغذية.يتجول على الطرقات حافي القدمين بلا حذاء، يبحث في مكبات النفايات والقمامة عن الطعام؛ لعله يجد قطعة من الخبز ليطرد بها جوع النهار، وعندما وقع نظر الشاعرة على هذا الطفل ورأت ما يعانيه ويقاسيه، تحركت مشاعرها وانفعلت معه انفعالا يجعلها تواسيه بمد يدها إلى كيسها الوهن القديم الخفيف لتجود له بثمن الرغيف.

وفي قولها "الوهن الضعيف" كناية عما تعانيه الشاعرة نفسها، وانعكس ذلك على كيسها فجعل منه باليا وليس به من البنكنوت ليثقله؛ فجادت له بما ملكت يديها، وهذا قمة الكرم والإيثار للفقراء والأطفال والأيتام، قال تعالى: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) ([1]).

وبعد هذه الاجادة تنظر الشاعرة إلى الطفل وتريد أن تعرف عنه المزيد، بقولها: من أنت؟ فيجيبها على الفور "أنا يا أختنا في الله؛ ريفي"، أي قروي بدوي أتيت من الريف، وأبي قد أدركته المنية منذ أن كنت طفلا، ولم يترك لنا ما نرثه غير الفقر، وأمي قد كانت تزورني في الحلم أو في الخيال، ويتراءى لي في وجهها الصبوح الأسى والحزن والعطف والشفقة على حالي، وما تفعله الطبقية في الأوساط الاجتماعية في داخل الأسرة الواحدة، فيقول: إن عمي شقيق أبي غني يمتلك قصرا منيفا جميلا مريحا وينام على لحاف جميل، مرن وثير.

وأما أنا فقد تعود وأدمن جسمي الويلات والمآسي من برد وحر ولهيب جوع وعطش وماء مطر في الخريف؛ لأنه ليس له سقف يحميه من ماء الخريف أو برد الشتاء أو حرارة الصيف، وقد نسي النوم على الفراش والحياة الكريمة الشريفة.

1- الآية 9 من سورة الحشر

وكانت هبة الشاعرة أو إعطاءها للطفل لتحفزه على أن يجيبها لأنها تنوي سؤاله، أو لانفعالها لما رأت حالته وصورته المكسوة بالغبار والملطخة بالأوساخ، ورجليه الحافيتين من الانتعال، وثيابه الرثة البالية منذ أزمان.

وفي قولها "فأجاب فورا" كناية عن ذكاء هذا الطفل، وتمكنه من شرح حالته للسائلين، أو أن ثمن الخبز الذي قبضه دفعه ليبين حاله ومآله.

فواقع الأمر؛ أن الطفل قد أسرف وأفاض في الحديث، ما دفع الشاعرة لإيقافه؛ لأن قوله يخدش مشاعرها، ويشعل عواطفها، ويؤجج مشاعرها، ويلهب دواخلها، الأمر الذي يجعلها تتألم وتعاني أشد من ألم الحريق الشديد، وكل كلمة صدرت منه، تعتبرها جرحا نازفا ، أو خنجرا مغروسا في قلبها . وهذا ما عبرت عنه في قولها:

كفاك أُخَيَّ قد أرهقت قلبي	***	ترفق بي وأوقف لـي نزيفي
ولكن الفتي ما انفك يحكي	***	يطيل الوصف بالصوت الضعيف
أنا من صفحة المأساة آت	***	أمثل كـل أبناء الرصيـف
سأسكت مثلما قلتِ ولك	***	تنحي قد عثرت على رغيـف([1])

نلاحظ معاناة الشاعرة نابعة من رهافة مشاعرها وحدة عواطفها وحرارة أحاسيسها التي صيرت كلمات الطفل جروحا نازفة في قلبها؛ لكن الطفل لم يشعر بهذا لبداهة حديثه وسذاجته فيستمر في التحدث إليها ويصف لها معاناة الحياة التي لاقاها، وعاشها بصوت حزين هزيل ضعيف يفقد القوة لما به من انكسار وخذلان، فيقول أنا من صفحة المأساة أتيت ومثله كافة أبناء الطرقات الذين حرموا من لذة الحياة ويهيم بهم الفقر المدقع الشديد الرهيب، ويختم الطفل كلامه بالثناء على الله والانصياع لأمر الشاعرة بالتوقف؛ لأنه قد عثر على ثمن الرغيف.

1- زائد، ساكنة محمد أحمد زائد، ديوان ولي أمل ، مصدر سابق ذكره ص 39

والقصيدة من القصائد الاجتماعية التي تنقل ما يشعر الشاعر ويحس به ويتأثر بما يدور في مجتمعه، ومنه استمدت الشاعرة ساكنة مادة قصيدتها التي تعكس صدق تصوير حياة مجتمعها البائس الفقير، وصدق التجربة في هذه القصيدة هو الذي أبقى هذه القصيدة حية قوية ذات تأثير وجمال ورونق يسبي القلوب ويؤثر في النفوس، ويؤثر على عواطف ووجدان كل من يقبل على قراءتها، وخاصة إن كان بائسا أو يتيما يراها كصدى لصوته المتحدث بلسان حاله ، والمعبر عن خلجات قلبه، وهذا ما يراه أصحاب المذهب الاجتماعي في دراسة الأدب حيث يقولون: أن العمل الفني سواء أكان شعرا أم نثرا، لا يستمد جلاله وروعته من خلال الموضوع أو من التقنيات الفنية فقط، وإنما يستمد قوته من صدقه في التعبير عن هموم مجتمعه."([1])

وفي حقيقة الأمر فإن الشعر الاجتماعي يستمد قوته وديمومته من المجتمع ويكتب للجماعة دائما يريد ان يؤثر فيهم، ووسيلته في ذلك الحديث عما يعنيهم ويهمهم دون أن ينساق وراء أهوائهم، أو أن يسعى إلى تملك الجماهير والخضوع لها، فهو شعر يؤثر في المجتمع ويتأثر به."([2])

وهذا تماما ما نجده في القصيدة التي تعتمد في ديمومة رونقها على المجتمع لا على نسجها الفني؛ لأن الأدب بوجه عام والشعر على الخصوص ينشد على إسعاد الإنسان وتخليصه من السلبيات والرذائل ووضعه على رياض عالم الفضيلة عن طريق حثه نحو الإيجابية كما نجده عند الشاعرة ساكنة عبر قصيدتها.

أما من حيث القاموس اللغوي فنجد الشاعرة تستمد ألفاظها من محيطها الثقافي، وتتسم بالجزالة والمرونة منها: تذيب، القلب، النحيف، رغيف، كيس، الوهن، الخفيف، أختنا في الله، الفقر، المخيف، حلمي، الوجه، المنيف، الشريف، أرهقت، نزيف، ضعيف، المأساة، الرصيف، تنحى، وغيرها من الألفاظ التي ركزت عليها الشاعرة ساكنة تحمل الاحاسيس والمشاعر وحرارة العاطفة التي تسيطر على إنشاء النص الشعري ونجدها تثير الإعجاب لبساطتها ورقتها وجزالتها.

1- مسبح، أيمن سليمان، الاتجاه الاجتماعي في الشعر الفلسطيني، رسالة ماجستير في الأدب العربي، كلية الآداب قسم اللغة العربية ، الجامعة الإسلامية بغزا 2007م، ص6

2- عباس، دكتور احسان، فن الشعر، دار الشروق، عمان 1996م، ص134

2- قصيدة الشعر يروي ما نرى

وتطالعنا الشاعرة في قصيدة ، فتقول:

الشعر يروي ما نرى # # # # وهو المؤثر في الورى

إني سأحكي حالنا # # # # مما سمعت وما أرى

يا بلدتي يا شمعة # # # # أخذت تضاء بها القرى

هي شمعة من غير خي # # # # ط هل تضـيء أيا ترى؟ ([1])

تنصب الشاعرة نفسها في هذه الأبيات من القصيدة على منصة شاهد عيان وتحكي حال مجتمعها بما سمعت منه وبما رأت فيه، ثم تنادي بلدتها وتقصد بها تشاد باسم شمعة؛ لأن الشمعة يشيع منها نور، وتبعث الفرحة والسرور والحبور، والشمعة كما هو معلوم تحترق لتضيء للآخرين، وهذه من أعظم التضحيات التي تقدمها تشاد.

وترمز الشاعرة إلى البلدان الاخرى بقولها قرى، وأن تشاد لخصوبة أراضيها وكثرة ثرواتها الطبيعية يمكنها أن تضيء القرى أي تغدق بالخيرات على كثير من البلدان ، تراها كأنها شمعة كبيرة يمكنها أن تضيء القرى المجاورة، لكن وللأسف الشديد نزع المقربون خيط هذه الشمعة لذا صارت لا ضوء لها تضيء به نفسها، ناهيك عن القرى أي البلدان الأخرى. وبعد انتزاع الخيط من الشمعة (تشاد) انهضم الحق وتناثرت الرذائل هنا وهناك وتبعثرت فتقول:

الحق مهضوم هنا *** متناثرا متغبرا

ليس السحاب يقله *** بل صار يخفيه الثرى

كل الرذائل بعثرت *** وتناثرت بين الورى

كل الولاة ببلدتي *** يبغي لنفسه مظهرا

ويحي على الشعب الذي *** ما كان يحوي منبرا

ويحي على الشعب الذي *** يرضى بأن يتأسرَ ([1])

1- زايد، ساكنة محمد أمد، ديوان ولي أمل، مصدر سبق كره، ص28

ترى الشاعرة أن الحقوق داخل المجتمعات الإنسانية قد هدمت وكسرت بل فتت وبعثرت وغيرت ثم نثرت، إشارة على أنه لا حق لأحد داخل مجتمع وطنها يجده مهما بحث عنه؛ لأن وجوده لا يتعدى الذرات التي لا تغني شيئا، وهي تشير إلى اختفاء العدالة وفشاء الظلم لدرجة أن السحاب لا يمكنه أن يحمله إلى السماء لذا صار يخفيه الثرى.

كما أن كل الرذائل والخصال التي ترفضها الفطرة والدين نثرت بين الناس وفشت فأصبح المجتمع فيه كثير من الرذائل، لدرجة أن الولاة الذين ينبغي أن يكونوا أئمة وهداة ودعاة للفضيلة أصبح كل واحد منهم يريد لنفسه الظهور والقيادة والسيادة بغية جمع الدنيا ومتاعها. وصار كل واحد منهم يعيش على أكتاف الشعب، ينهب ثرواته وممتلكاته وخيراته لضعف الشعب الذي لا يريد أن يجعل لنفسه منابر يبين فيها حقه، بل يؤثر أن يكون أسيرا.

كما تذكر الشاعرة المآسي والويلات والمتاعب التي دبت في الحياة الاجتماعية للناس وما صحبها من ترد في الاقتصاد فتقول:

إن الرجال تعودوا # # # # بالسعي أيضا والسُرى

يبغون لقمة عيشهم # # # # والكسب صار معسرا

والطفل يبكي دائما # # # # وكأن دمعه لا يرى

والأم تخفي حزنها # # # # والعين فارقها الكَرَى([2])

تشير الشاعرة بهذه الأبيات إلى ما آلت إليه المجتمعات من فقر وعوز وحاجة ما جعل البعض يكدح في سبيل الوصول إلى لقمة العيش، على الرغم من أن جل رجال المجتمع قد تعود على البحث والسعي الحثيث، إلا أن كسب هذه اللقمة صار شاقا

1- زايد، ساكنة محمد أمد، ديوان ولي أمل، مصدر سبق كره، ص28

2 - المصد نفسه ص 28

وأكثر مشقة لانتشار الفقر المدقع نتيجة لفساد المجتمع، وأن أكثر من يعاني ويتجرع مرارة الأمراض، التي تدفعه إلى البكاء المستمر نتيجة للسعات الجوع، هو الطفل اليتيم المتشرد البائس الفقير. ومع استمراره بالبكاء لا تبالي به طبقة الأغنياء التي تعاني من السمنة و التخمة الدائمة. وأم الطفل تخفي شدة مرارة حزنها وما ألمّ بها من ويلات وبؤس والآم واحزان سرقت النوم من عينها وحرمتها لذته، وجعلتها تتجرع مرارة ثقل الحياة المبطنة بأنواع الهموم والالآم.

وتشير الشاعرة بعد أن عددت الويلات والمآسي التي يتجرعها المجتمع من شغف العيش وحرمان النوم إلى ما آلت إليه الأمور في أوساط فئات مجتمعها حيث تقول:

وبناتنا بعن العفا # # # # ف رضين صيحات العرى

أمرْ على طرقاتها # # # # أتراك تبصر مـــا أرى([1])

تـرى الشـاعرة أن الحاجـة الملحـة إلـى تـوفير لقمـة العـيش وضـروريات الحيـاة ومستلزماتها دفعت بعض بنات المجتمع إلي خلع ثوب العفة وبيعه وارتضاء الرذيلة لمصـاحبتهن للعاريـات بائعـات الهـوى، وتمـر علـى الطرقـات، وتـرى عيناهـا الرذائـل والخبائث وجرائم منتشرة في الطرقات، ولسان حالها يقول: هل الناس يرون ما أراه من هدم للقيم والأخلاق الاجتماعية ؟ وذلك بسبب تردي الأوضاع المعيشية؟ وتختم الشاعرة القصيدة بقولها:

أبلادي هل أنت على # # # # وشك النهاية يا ترى؟

تستفهم الشاعرة مشخصة بلادها، أهي على حافة الانهيار أم لا؛ لأنها تترنح على حافة الرذيلة وانعدام الأخلاق وفساد المجتمعات، وتؤكد في الوقت نفسه أن كرامة البلدان وعزها وقوتها ومنعتها في استقامتها، وما فشت وانتشرت الرذائل في بلد من البلدان إلا وانتهى.

1- المصدر نفسه ص 28

3- قصيدة البانة

ومن أروع أشعار الشاعرة التي تدور في محور الاتجاه الاجتماعي قصيدتها التي عنوانها (البانة) ؛ حيث تمجد فيها الفتاة المتمسكة المتشبثة بالأخلاق والعادات الإسلامية المرصعة بالإيمان الذي يحيط به التقوي ويحميه، والصبر الذي يعقبه النصر تقول :

يا بانة زار الغزال رُباها # # # # فاحتار من ذاك الجمال وتاها

بسامة الثغر الذي ما فارق التبْسَ # # # # امَ لحظة رَوْحِها وغُداها

يا سُمعة المسك استعيني بالتقى # # # # هو للفتاة عبيرها وشذاها

كوني على هذي الحياة صبورة # # # # فالله من فوق السماء قضاها

إن الزمان اعتاد سل أسنة # # # # سوداء من أجل الطعان براها([1])

ترمز الشاعرة على الفتاة وتصفها بشجرة: البانة ، إما لطول قامتها أو لتماسكها؛ بحيث لا يسقط منها شيء أو لصبرها الطويل علي العطش أو لاجتماع هذه العوامل كلها عليها، أطلقت عليها البانة، ورمزت للشاب بالغزال، إما لجماله أو لأناقة هندامه، ولكن العرب اعتادت أن تشبه الفتاة بالغزال وليس الفتي، وربما ما دفع الشاعرة: ساكنة، إلى تشبيه الشاب بالغزال خوفا من أن تجمع كلمتي غزال في صدر بيت واحد، فتقول: يا غزالة زار الغزال، فيكون كلاما عاديا بعيدا عن روح الشعر.

ثم تشير الشاعرة إلى أجمل صفة بالفتاة ، وهي الابتسامة، لبراءة وصفها وصفاء قلبها ونقاء ضميرها الذي تعبر عنه بابتسامتها التي لا تفارق محياها وشفتاها، وبذا جمعت الشاعرة لموصوفتها جمالين جمال الخلُق وجمال الخلْق، ومن كانت ذا قامة كالبانة وجميلة في خلْقها وخلُقها، حق لها أن تحيّر الغزال ويتيه عقله؛ لأنها كسمعة المسك الخالص يجد المرء حلاوة ريحه متى ما اقترب منه.

1 – زايد، ساكنة محمد أمد، ديوان ولي أمل، مصدر سبق كره، ص23

وبعد أن عددت الشاعرة أوصاف الفتاة، توصيها بالاستقامة والتقوى؛ لأن التقوى يعطر الفتاة وينفذ منها النسيم والشذى؛ فيقبل إليها كل من شم رائحتها، كما توصيها بأن تكون صبورة؛ لأن الصبر مفتاح كل كرب الحياة، قال تعالى: (واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين)([1])

كما تأمرها أن تستعين أيضا بالصلاة بعد استعانتها بالصبر إذا أرادت أن يكون الله معها في قضاء حاجاتها الدنيوية والأخروية، قال تعالى: (يأيها الذين ءامنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصرين) ([2])

وتشير بقولها والله من فوق السماء بناها الى الآيات التي تتحدث عن الصبر وتجعله فوق كل شيء والاعتماد عليه في السراء والضراء، قال تعالى: (وأصبر وما صبرك إلا بالله) ([3])

وبعد أن أشارت الشاعرة إلى الدلائل الواردة في القرآن الكريم، تصوغ حكما لتستدل بها علي ترغيب الفتاة في مجتمعها بالصبر لتجسد الزمان وتضعه في مكان الإنسان ولكنها تحذف الإنسان وتأتي بشيء من لوازمه في قولها عن الزمان إعتاد لسل أسنة سوداء، والتعبير كله كناية عما يلقاه الإنسان عبر الزمان من فقر وحرمان وبلاء وامتحان، ولم تكتف في قولها بالأسنة فقط؛ وإنما وصفتها بالسوداء تعبيرا عما ترفضه النفس الإنسانية البشرية؛ لأن السواد لون التشاؤم، لذا لم تقل بيضاء؛ لأنها إن كانت بيضاء قد تكون خفيفة وغير مخيفة، وما دامت سوداء فأنها مصائب ثقيلة تحتاج إلى صبر على مقدارها ومستواها.

وهذه الأسنة السوداء عندما يسلها الزمان لا ليرعب بها المسكين، وإنما ليخيف بها الباغي الطعان ليعتبر بها المطعون المسكين، وتضيف قائلة:

---

1 – الأية 109 من سورة يونس

2 – الآية 152 من سورة البقرة

3 –الآية 126 من سورة النحل

لا تغفلي كي لا تكوني عنده # # # # مثل الضحيـة ضُرّجت بدماها

يا أيها الزمن المليء كآبة # # # # هلا تركت البنت فـــي مسعاها

صُنّعت لها كل الصعاب سفينة # # # # صارت لها وقت الدجى مرساها

لكنها رغم الصعاب تماسكت # # # # على الصعاب تخافها وعساها ([1])

تضيف الشاعرة في وصيتها للفتاة قائلة لا تغفلي عن الزمان الذي يسل أسنة سوداء مفاجئا بها، بل كونى دائما مستعدة حتى لا تنقادي إليه مثل البهيمة التي ذبحها صاحبها وهو يجرها وهي ملطخة بدمائها، وفي قولها مثل الضحية ضرجت بدمائها تشبيه تمثيلي حيث شبهت صورة من ينقاد إلى مهن ومصائب الزمان عندما تجده غير مستعد لمواجهته طائعا مستسلما بصورة البهيمة التي يذبحها صاحبها ويجرها وهي ملطخة بالدماء لا حول ولا قوة لها.

وبعد هذا التشبيه التمثيلي تلتفت الشاعرة منادية الزمان مستلطفة له؛ بأن يترك الفتاة في سعيها لتحقيق ما تصبو إليه، وألا يقطع طريقها بكآبته وبأسه وظلمه ومشقته؛ فيجعلها تنحرف عن المبتغى السليم، وجمع الصعاب كلها وصبها على الفتاة مظلمة، مثل السفينة ترسو إليها وقت الظلام أي ترجع إليها عندما تصاب باليأس والحرمان والحاجة بهدف إغرائها وإبعادها عن الاستقامة والفضيلة ويغمسها في عالم الرذيلة.

إلا أن هذه الفتاة رغم الصعاب ورغم المحن والأهوال التي تصاحبها نهارا وترسو معها ليلا لم تستسلم بل تماسكت بكل عفة وحياء وخجل وامتناع وشجاعة وصبرت على مر هذا الزمان بحكمة وعبرة فذة خلابة حتى أخضعت الصبر نفسه فرجع إليها طائعا مستسلما من بسماتها التي لا تفارق شفتاها رغم الصعاب ومكائد الزمان، وتبين الشاعرة بأنها وجدت في هذه الفتاة خصال حميدة كثيرة وشيما عظيمة وصبر يعجز غدر الزمان واغراءات الشيطان ثم تسدل الستار علي القصيدة بقولها:

1- زايد، ساكنة محمد أحمد، ديوان ولي أمل، مصدر سبق كره، ص23

يا قصة رويت بغير عبارة # # # # تركت على شط الرحيل خطاها

إني وجدت لها خصالا جمة # # # # شيما تغيظ بها جميـــع عداها

يكفي بأني كلمـا أبصرتها # # # # لم أبصـر التُّبْسام فارق فاها ([1])

4- قصيدة سنة أولى ضارع

ومن قصائد الشاعرة قصيدة بعنوان: سنة أولى شارع، تقول فيها: مصطلح سنة أولى شارع، أطلقه محمد صالح يونس الضواي، على الذين تخرجوا ولم يتحصلوا على الوظيفة، والقصيدة كتبتها على لسان الكاتب محمد طاهر النور، الملقب بالعقاد.([2])

تعكس القصيدة واقعا اجتماعيا يعيشه الشباب بعد التخرج من الجامعات أو المعاهد العليا؛ حيث يمكثون سنوات وسنوات وقد يتحصلون على الوظيفة أو لا يتحصلون، والقصيدة تجديدية شكلا ومضمونا وفيها تقول:

أمسيت؟

نعم أمسيت، نعم يا صاحبي أمسيت ...كما تمسي الدنيا أمسيت...

سأمسي مثلما أصبح ... أعدل صوتي المُنْبَح..

من استذكار أذكاري ..

ومن صيحات أفكاري ..

وأكوي الجلد النار..

فإن دوائيَ في الكي ..

رويدا أخي مهلا ... سمعت بأنك... خريج

خريج؟! أنا يا صاحبي صهريج..

أصب الماء في جوفي..

أرج شرابي الأفضل..

أصور واقعي الأطول..

1- المصدر نفسه ص 23

2 – زايد، ساكنة محمد أحمد، ديوان ولي أمل، مصدر سبق ذكره، ص42

تبدأ الشاعرة قصيدتها التي صاغتها على شكل قصة وجاءت على لسان شاب يلقب بالعقاد محمد طاهر النور . بالسؤال عن حاله بقولها أمسيت؟ فجاءت الاجابة بإسهاب وأطناب لتبين حالة اليأس الذي أصاب المسئول المجيب، والتكرار في قوله: نعم أمسيت نعم يا صاحبي أمسيت كما تمسي الدنيا ليؤكد صعوبة قطع اليوم إلى المساء في ظل البطالة التي تعمل في إطالة الوقت، كما يرى أن مساءه مثل صباحه كأنهما وجهان لعملة واحدة، والبطالة تدفعه لكيّ جلده بالنار؛ لأن الكيَّ له أوجاع، ودواء ولجأ إليها كل صبيحة ومساء لتخفف عنه ألم الإطالة والبطالة، وعندما سمع السائل هذه الإجابة تحركت مشاعره ولانت عواطفه وانفعل مع المسئول بقوله:

رويدا يا أخي مهلا

سمعت بأنك خريج؟

فيجيبه مستفهما مستنكرا بقوله:

خريج .. أنا يا صاحبي صهريج، يصب الماء في جوفي.

كناية عن تزوده بالعلوم لأن الماء عين الحياة، وأرج شرابي الأفضل أي أردد ما تهواه وتميل إليه نفسي من العلوم مصورا طول الوقت المفروض عليه لبقائه في المنزل ومراقبة هطول المطر، وهذا ما يراه مناسبا؛ لأن الشهادات التي تحصل عليها ما عادت تنفعه؛ لذا سيبقى يراقب ما يحمله المستقبل عليه بأنّاته وآهاته مسطرا ذلك في وريقاته، ليطلع إليه من يكرر التاريخ مآسيه عليه، فهذه عادة التاريخ من قبلي لأني لست أول عاطل يسجله التاريخ.

هذه الكلمات ألهبت دواخل السائل وأحرقت عاطفته وأغلت جوفه ودماؤه وأثارت مشاعره ؛ لكنه لا يملك إلا أن يقول له: رويدا يا أخي مهلا، وبعد أن هدأت ثورته، والتقط أنفاسه، وبردت دماؤه، واستتبت دواخله، يخبره بأنه قرأ مقاله المنشور في الطباعة ويعاتبه؛ بأنه يفكر في البشاعة (الوظيفة) وينصحه بأن يفكر في التجارة، لربما التاريخ قد يتغير؛ لكن العاطل يجيب قائلا: يا عمي ضع عنك هذه البشاعة والوضاعة والخناعة وتسويق البضاعة؛ لأن منهجي التفكير وعنواني الضياع، وعندما تراني مبتسم مرارة قلبي حنظل؛ لأنني أحلم أن أعيش في دنيا نظيفة؛ لكن وا أسفاه، قد أدركت إنني عبثا أبحث عن وظيفة.

وتضيف قائلة:

رفقا بنفسك يا أخي رفقا تمهل ..

ما بال ثورات الغضبْ.. تنهال كالوحي المنزّل؟؟

وتنافس الأنفاسُ في الأعماق مرجل..

وعندما رأى السائل المسئول (المجيب) أضناه الغضب، واحمرت وجناته من التعب، وانتفخت أوداجه من العصب، وضاقت أنفاسه من الحسب، ترجاه أن يرفق بنفسه وأن يتمهل وأن لا يترك ثورات الغضب تنهال إليه كالوحي المنزل، وأن تضيق أنفاسه حتى يصير وكأنه في أعماق مرجل تشتعل النار تحته بقوة وضرامة وصرامة، فيجيبه بقوله: يا أخي اتركني فقد أثقلتني الهموم وغيبني الضياع .

وتختم القصيدة بتوجيه المجيب إلى زراعة وفلاحة الأرض وحرثها لأنها منبع يدر المصالح والمنافع مستفهمة بقولها قل من سيفلح أرضنا؟ إن رفض الخريجون العمل فيها وزراعتها حيث تقول :

آه يا أخي.. دعني فإني مثقل الأحزان ضائع ..

يا صاحبي زرت المزارع؟

فهي –كما تعلم– روائع..

نبع يدر لك المنافع ..

قل من سيفلح أرضنا؟؟ ولمن ستتركها المصانع؟

يا عم اسمعني أنا ... سنة أولى شارع.. ([1])

5– قصيدة والديك

ومن القصائد الاجتماعية التي صاغتها الشاعرة ساكنة قصيدة: والديك التي جاءت تجديدية في شكلها ومضمونها وهي ترغب أفراد مجتمعها لبر الوالدين والإحسان إليهما،

1 – زايد، ساكنة محمد أحمد، ديوان ولي أمل، مصدر سبق كره، ص45

كما قال تعالى: (وقضى ربك الا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) ([1]). وقال تعالى: (وعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين)([2])؛ حيث ترى الشاعرة أن رضاهما مقرون برضا الله تعالى، وتلفت النظر إلى صبرهما وجهادهما حتى يصير وليدهما ولدا، وكم سهرا الليالي وتعبا وكدا وجدا من أجلك لتكون أنت حيث تقول:

سلني أخبرك الذي سيسر نفسك إن فعلت

كن طائعا للوالدين بصغر سن أو كبرت

مرضاتهم مقرونة برضا الإله وقد علمت

مهما السنون تتابعت وتعاقبت بالحلو أو جارت عليك

عشها بطول رعاية محمودة مع والديك

كم ثابرا؟ كم جاهدا؟ لتكون أنت وأنت كنت ([3])

تيقنت الشاعرة بأن توحيد الله ورضاه؛ سعادة الإنسان وراحته في الدنيا والآخرة، وهو مرهون بطاعة الوالدين. مستنيرة في ذلك بقول الله تعالى: (إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنحرهما وقل لهما قولا كريما) ([4]).

ولذلك تنادي من يسألها عن سرّ راحة النفس وسرورها فتخبره (سلني أخبرك)

وتختم القصيدة بما يفعله المرء لينجيه عما قد جناه وتقول هو طاعة الله والوالدين وعفو الآدميين بالقلب واللسان الجاني، وبذا تكون السعادة رهن إشارتك وهذا ما تشير إليه بقولها:

---

1 –الآية 22 من سورة الإسراء

2 – الآية 26 من سورة النساء

3 – زايد، ساكنة محمد أحمد، ديوان ولي أمل، مصدر سبق كره، ص22

4 – الآية 22 من سورة الإسراء

سلني أخبرك الذي سيضيق الدنيا عليك

هو لفظ أفٍ قلتها وقصدت حقا والديك

سلني أخبرك الذي ينجيك مما قد جنيت

لله تب قبل الممات ولا تكابر قد عصيت ([1])

بإشارة من قلبك المحزون بل بلسانك المتلعثم الجاني عليك.

تأتي السعادة كلها وتكون رهن إشارتيك.

هكذا الشاعرة ساكنة توصي جيلها، وترد على تساؤلاهم المتوقعة، وتنتقد تصرفاتهم السيئة ، وتذكرهم بأمر الله جل زعلا لينجوا من عذابه وينالوا ثوابه. ولها بهذا الأسلوب قصائد عديدة منها: بركان التربية وذكرى واحتجاج القدر وغير ذلك كثير.

نسأل الله أن يأخذ بيدها، وينفع بها من كان حولها.

- **خاتمة:**

من البديهي أن الأديب يهتم بقضايا الجماهير، فيشاركهم همومهم، يفرح لفرحهم ويتألم بأحزانهم، ويرسم آماله بجانبهم ويربط مصيره بمصيرهم.

والشاعرة اختارت الوقوف بجانب المجتمع التشادي على العموم، والمجتمعات الكادحة الضعيفة المحرومة البائسة على الخصوص؛ حيث حملت أعباءهم الاجتماعية، ودافعت عن قضاياهم الوطنية، وعن تطلعاتهم وآمالهم المستقبلية، بأشعار جاءت عمودية مرة، ومرة تجديدية في شكلها وأخرى في معناها، وقد توصلت الدراسة في ذلك إلي **النتائج التالية:**

- الشاعرة ساكنة محمد أحمد زايد ، جنسيتها تشادية، من مواليد 1992، خريجة جامعية، لها أعمال أدبية ، منها ديوان شعري بعنوان : ولِي أملٌ. عالجت فيه بعض آلام المجتمع الذي عاشت فيه، أغلب القصائد جاءت من الشعر المحافظ، والأخرى من شعر التفعيلة.

1 – زايد، ساكنة محمد أحمد، ديوان ولي أمل، مصدر سبق كره، ص22

- يلاحظ في شعرها عمق في التفكير، ورقة في الأسلوب، وعدم الاسراف في العاطفة، مع الاستعانة بالمحسنات البديعية التي تأتي عفواً
- تتميز لغتها بالبساطة والبعد عن الوحشي والغريب مع إصابة المعنى.
- يمتاز أسلوبها بسلاسة الألفاظ وسلامة المعنى والايجاز في التعبير وحسن التخلص.
- يوجد في أشعارها استعمالا للتشخيص والاقتباس من معاني القرآن الكريم.
- تمتاز قصائدها الاجتماعية بعدم الطول؛ حيث تتناسب مع الموضوع الذي تعالجه.
- نجد في معانيها دعوة المجتمع للتكافل، والامتثال لأوامر الرحمن ، والعمل بالفضائل والابتعاد عن الرذائل.
- كثيرة الانفعال مع القضايا الاجتماعية التي عاشتها أو لاحظتها في المجتمع .
- تعتمد في بنائها لقصائدها على البحر الكامل ثم الوافر والبسيط، وأحيانا وإلى شعر التفعيلة .
- جاءت الصور البيانية في هذه القصائد كالتشبيه والاستعارة والكناية موضحة حالة المجتمع الذي تعيش فيه الشاعرة.

- **التوصيات:**

– على الباحثين الاهتمام بالغرض الاجتماعي في الأشعار العربية النسائية التشادية عامة وشعر الشاعرة ساكنة محمد أحمد زائد خاصة، وإخراجه من دائرته الضيقة وسجنه؛ لأنه ينادي بأعلى صوته؛ اخرجوني من الضياع إلي الضياء وإلى موائد القراء.

– نشر الأشعار العربية النسائية التشادية التي تناولت الأغراض الاجتماعية في الصحف والمجلات والمعاهد والمدارس والجامعات لبيان ما وصلت إليه.

مصادر ومراجع الدراسة:

- القرآن الكريم .
- ساكنة محمد أحمد زائد: ديوان ولي أمل، دار الإمام الشافعي للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1997م.
- إبراهيم أنيس: الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ،1988م.
- أبو حالة أحمد ، الالتزام في الشعر العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت . . لبنان 1979م.
- أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق الدكتور قرقزانا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1988م، ج1.
- إحسان عباس: فن الشعر، دار الشروق، عمان 1996م.
- أحمداي حمزة، كلمة ألقاها بمناسبة يوم توقيع ديوان الشاعرة في يوم 2016/03/23م بانجمينا، تشاد.
- أيمن سليمان مسبح: الاتجاه الاجتماعي في الشعر الفلسطيني، رسالة ماجستير في الأدب العربي، كلية الآداب قسم اللغة العربية ، الجامعة الإسلامية بغزى2007م.
- الحبو تجاني مصطفي: القصة القصيرة في القطر التشادي النشأة والاتجاه، بحث منشور في مجلة الندوة العلمية الدولية للأدب العربي في إفريقيا جنوب الصحراء الماضي والحاضر والمأمول ، إنتاج جامعة الدول العربية والاتحاد الإفريقي.
- حسن محمود محمود: تاريخ الشعر التشادي ، دار الطبعة للطباعة ، ط8 ، مصر 1425هـ 2004م.
- محمد صالح أيوب: الاجتماع التربوي في إفريقي، دار الفضيلة، القاهرة 2018م.
- مقابلة مع الشاعرة ساكنة محمد أحمد زايد في منزل الأسرة بأم رقيبة بانجمينا 10/20/ 2020م الساعة 12:30 دقيقة أجرى المقابلة الأستاذ مصطفى أحمد مهدي أسد.